

المزارات الدينية في مصر والشام وبلاد الرافدين في القرن الرابع الميلادي في ضوء رحلة إيثيريا Etheria

عبد المعطي بن محمد محمد سمس (*)

الملخص

كانت إيثيريا إحدى المسيحيات القادمات من غرب أوروبا للقيام برحلة حج إلى فلسطين. ولا تقف أهمية الرحلة التي قامت بها عند زيارتها للأماكن المقدسة في فلسطين فحسب بل لأنها مكثت ما يقرب من ثلاث سنوات في الشرق زارات خلالها الأماكن الدينية في مصر وبلاد الشام وبلاد الرافدين أيضاً؛ وبهذا تعطينا رحلتها صورة تاريخية مهمة باكراً عن البقاع الدينية في الشرق القديم في القرن الرابع الميلادي وصورة أيضاً عن الاحتفالات والأعياد الدينية النصرانية في تلك الفترة؛ ولعل هذا ما جعل رحلتها تحتل أهمية بالغة بين المؤرخين لاسيما وأنها دونت باللاتينية، لغة الغرب الأوروبي آنذاك وليس باليونانية لغة الشرق النصراني، مما جعل لها رواجاً وسمعة ذائعة بين الأوساط الدينية الأوروبية لاسيما الكاثوليكية.

وبناءً عليه فإن هذا البحث يهدف إلى الغوص في تفاصيل تلك الرحلة للخروج بصورة تاريخية تعكس شكل ووضع المزارات الدينية في مصر والشام في القرن الرابع الميلادي، وما كان يجب على الحاج المسيحي أن يقوم به أثناء زيارته إلى الأراضي المقدسة في الشرق لاسيما في فلسطين؛ وهي التفاصيل التي تعكس أهمية الشرق العربي منذ العصور القديمة وكيف أنه كان يشكل أهمية خاصة عند الأمم الغربية النصرانية.

* أستاذ التاريخ القديم المشارك، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة

**Religious shrines in Egypt, Syria, and Mesopotamia
in the fourth century AD in the light of the Journey of
Etheria**

**Abdel-Moti Ibn Muhammad Muhammad Simsim
Abstract**

Etheria was one of the Christian pilgrims who came from Western Europe to visit the holy lands in Palestine. The importance of her journey is that she stayed for almost three years in the Levant, which has many religious sites in Egypt, Syria, and Mesopotamia as well. Thus, she gives us an important image about the important religious places in the ancient Near East in the fourth century AD and an image also for celebrations and religious holidays of eastern Christians in that period. Perhaps, this is what make the journey occupies a paramount importance among the historians, particularly as it was recorded in Latin, language of Western Europe at that time, not in Greek, making her popular reputation among the Europeans, especially Catholics

Accordingly, this paper aims to trace the details of her trip to the Levant to show the religious shrines in Egypt and the Levant in the fourth century AD, and what should have been on the Christian pilgrim be done during his visit to the holy lands in the East, particularly in Palestine.

يمثل القرن الرابع الميلادي مرحلة محورية في تاريخ الإمبراطورية الرومانية لأسباب عدة، سواء كانت أسباباً سياسية أم أسباباً دينية، أم أسباباً اقتصادية. فقد شهد هذا القرن تحولاً مهماً في الحياة السياسية بعد الأزمة الطاحنة التي ألمت بالإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي، والمعروفة باسم أزمة القرن الثالث الميلادي. غير أن هذا الحال بدأ في التغيير التام مع بداية النصف الثاني من القرن الثالث، حيث اعتلى دقلديانوس Diocletianus عرش الإمبراطورية في عام 284م، فولى ظهره لروما، تلك العاصمة الإمبراطورية التليدة، والتي أضحت منذ مدة طويلة غير ذات مقام للأباطرة، واتخذ من نيقوميديا Nicomedia بأسيا الصغرى عاصمة جديدة له، فأضحى بذلك على مقربة من التقاليد الهلنستية والأوتوقراطية الفارسية، فنهل من هذه وتلك في سبيل إعادة شباب الإمبراطورية لإنقاذها من أزمة القرن الثالث الطاحنة.⁽¹⁾

ويعتبر عصر دقلديانوس من أهم عصور الإمبراطورية الرومانية، إذ أحدث بنظماه الإداري الذي وضعه وإصلاحاته لنظم الحكم الروماني، وإدخاله المركزية في الحكم ونظام توزيع السلطات، وتقسيم الولايات على نحو جديد، ثورة هائلة كان لها الفضل الأكبر في ترميم ما وهي من البناء الداخلي للإمبراطورية وتأخير الكارثة التي حلت بعد ذلك بالإمبراطورية. حقيقي أنه سبق دقلديانوس أباطرة تعاقبوا على العرش فيما بين عامي 253م، و 282م أحسوا بخطورة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي وصلت إليها الإمبراطورية وحاولوا الإصلاح، وعلى رأس هؤلاء الإمبراطور أورليانوس (270-275م) الذي لقب بمجدد الإمبراطورية، إلا أن هؤلاء الأباطرة لم يقوموا إلا ببعض إصلاحات جزئية، ولم يستطع أحدهم أن يقوم بإصلاح شامل كما فعل الإمبراطور دقلديانوس الذي ركز جهوده لحل مشاكل الإمبراطورية في ثلاثة أهداف رئيسية هي: تقوية نفوذ الإمبراطور، وإعادة تنظيم الجهاز الحكومي، وتجديد نظام الجيش.

غير أن العلامة الأبرز في عهد دقلديانوس كانت اضطهاده للنصارى، حيث تضمن اضطهاده لهم مراسيم أربعة صدرت في عام 303م، ينص الأول منها على تدمير الكنائس المسيحية، وإحراق الكتب المقدسة ويقضى الثاني والثالث بالقبض على كافة رجال الكليروس بمختلف طبقاتهم وعدم الإفراج عنهم إلا بعد أن يقدموا القرابين لألهة الدولة، أما المرسوم الرابع فقد صدر سنة 304 ويلزم كل فرد في الدولة أن يقرب للآلهة اضحياته. ومنذ تلك اللحظة دبّت حركة اضطهاد عامة للنصارى في شتى أرجاء الإمبراطورية الرومانية وبلغت ذروتها في مصر حتى صار يعرف ذلك العصر بين نصارى مصر بعصر الاستشهاد.⁽²⁾

ومع اعتزال دقلديانوس الحياة السياسية في عام 305م دبّت الاضطرابات

الداخلية والحروب الأهلية ثانية ودامت نحواً من سبعة عشرة سنة، ظهر خلالها قسطنطين الذي نجح في القضاء على خصومه وأعاد توحيد الإمبراطورية الرومانية في سنة 323م.

ولا يهمننا في هذا المقام استعراض ما قام به الإمبراطور قسطنطين من أجل توحيد الإمبراطورية الرومانية تحت حكمه أو ما أسداه للنصارى من فضائل جعلتهم يضعونه في مرتبة القديسين، بل يهمننا هنا الإشارة إلى موقفه من المسيحية في عجالة والتي سترتب عليه نتائج جمة منها بروز أهمية الأماكن المقدسة في مصر والشام وفلسطين في الحج المسيحي، حيث شهد عصره أول رحلة حج نظامية إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وكانت تلك الرحلة لوالدته القديسة هيلانة، والتي زارت فيها كثيراً من الأماكن المقدسة عند النصارى وهي الأماكن التي عاش فيها السيد المسيح عليه السلام أو تنقل بينها. وبهذا أعطت الضوء الأخضر أمام النصارى كافة للاهتمام بها في الحج إلى الأراضي المقدسة بفلسطين أو لنقل لزيارة المزارات الدينية التي تشكل في مجموعها مناسك الحج المسيحي- إذا جاز التعبير.

لقد جاء اعتراف قسطنطين Constantine I بالنصرانية بمقتضى مرسوم ميلان، الصادر في سنة 313م، كدين من أديان الإمبراطورية الرومانية ومساواتها بذلك مع غيرها من الديانات في داخل الإمبراطورية والتزامه وفق هذا المرسوم بحماية أرواح النصارى وممتلكاتهم، ليصبح ذا أثر بارز في انتشار النصرانية في أنحاء الإمبراطورية. وقد ساعد ذلك على أن أصبحت الكنيسة المسيحية في عهده متمتعة بحماية السلطات المدنية، بفضل ما منحه لرجال الدين النصراني من الحقوق والامتيازات نفسها التي كان يتمتع بها الكهنة الوثنيون، فأعفاهم من ضرائب الدولة والخدمة في المناصب الحكومية للتفرغ لأداء واجباتهم الدينية، ومنح الطوائف النصرانية امتيازات قضائية كحق عرض القضايا أمام المحكمة الأسقفية.

وبالإضافة إلى تأييد قسطنطين للطوائف النصرانية، عمد إلى الاعتراف بنواحي نشاطها، ولم يتردد في التدخل في شؤونها. إذ جعل نفسه راعياً ورئيساً للمجامع الدينية وحكما لفض المنازعات المذهبية. ويدل اهتمامه بإخماد حركة الدوناتيين في سنة 314م في إفريقية ثم دعوته إلى عقد المجمع المسكوني الأول في مدينة نيقية سنة 325م، ووقوفه على أعماله، وما تبع ذلك من إعلان بطلان مذهب أريوس Arius السكندري الذي نفي فيه إلهية السيد المسيح خشية أن يؤثر الجدل إلى مذهبه واستفحال الخلاف بين مذهب أريوس القائل بأن المسيح "مخلوق" غير "مولود" وأنه "لا يساوى الأب في الجوهر"، وأثناسيوس Athanasius في وحدة الإمبراطورية، ثم عودته في سنة 334م إلى إلغاء قرار مجمع نيقية بعد أن نقل عاصمته إلى الشرق الذي يدين بالمذهب الأريوسي، واسترضى سكان القسم الشرقي من الإمبراطورية وهم النصارى الذين يدينون بهذا المذهب عن طريق استدعائه

لأريوس من منفاه في سنة 328م، والعفو عنه وعن أتباعه، كل ذلك يدل على أسداه قسطنطين للنصرانية في عهده، برغم أن بعض المؤرخين يقول أنه احتفظ بالعبادة الوثنية القديمة وبرجالها ومعابدها التي شكلت مصدر قوة الأباطرة، واحتفاظه أيضاً بلقب الكاهن الأعظم pontifex maximus حيث كان يهدف إلى إيجاد نوع من التوازن بين الوثنية والمسيحية.⁽³⁾

وبعد أن أسبغ الإمبراطور قسطنطين حمايته على النصارى وسماحه لهم بحرية العبادة وبناء الكنائس، قامت والدته هيلانة برحلة دينية إلى فلسطين بغية زيارة المزارات الدينية المقدسة في فلسطين، ومحاولة منها للعثور على الصليب الذي كان قد أعده الرومان لصلب السيد المسيح عليه.⁽⁴⁾ وهي الرحلة التي سبق وأن قلنا أنها فتحت الباب على مصراعيه أمام النصارى للحج إلى بيت المقدس وزيارة الأماكن الدينية المقدسة الواقعة في مصر والشام، والمقصود من الشام هنا إقليم الشام بما فيه فلسطين.

وبعد عثور هيلانة على خشبة ذلك الصليب بنت كنائس عظيمة فاتحة في مكان قبر السيد المسيح (حسب المعتقد النصراني)، ومكان الجلجلة،⁽⁵⁾ وبيت لحم، وجبل الزيتون، وطور ثابور⁽⁶⁾، والأماكن الأخرى التي تردد السيد المسيح عليها، وبنت أيضاً هياكل كثيرة⁽⁷⁾؛ وخلفت ورائها وكلاء لعماره البقية، وأعطتهم المحبة لله ذهباً كثيراً. وقد عملت ذلك تذكراً لها ولابنها قسطنطين الملك.⁽⁸⁾

ومن بين من جاءوا على هدي هيلانة إلى الشرق "إيثيريا"، وهي إحدى المسيحيات القادمات من غرب أوروبا للقيام برحلة حج إلى فلسطين. غير أن أهمية تلك الرحلة لا تقف عند زيارتها للأماكن المقدسة في فلسطين فحسب بل لأنها مكنت ما يقرب من ثلاث سنوات في الشرق زارات خلالها الأماكن الدينية في مصر وبلاد الشام⁽⁹⁾ وبلاد الرافدين أيضاً؛ وبهذا تعطينا رحلتها صورة تاريخية مهمة باكراً عن البقاع الدينية في الشرق في القرن الرابع الميلادي وصورة أيضاً عن الاحتفالات والأعياد الدينية النصرانية في تلك الفترة؛ ولعل هذا ما جعل رحلتها تحتل أهمية بالغة بين المؤرخين لاسيما وأنها دونت باللاتينية، لغة الغرب الأوروبي آنذاك وليس باليونانية لغة الشرق المسيحي، مما جعل لها رواجاً وسمعة ذائعة بين الأوساط الدينية الأوروبية لاسيما الكاثوليكية.

وبناءً عليه فإن هذا البحث يهدف إلى الغوص في تفاصيل تلك الرحلة للخروج بصورة تاريخية تعكس شكل ووضع المزارات الدينية في مصر والشام في القرن الرابع الميلادي، وما كان يجب على الحاج المسيحي أن يقوم به أثناء زيارته إلى الأراضي المقدسة في الشرق لاسيما في فلسطين؛ وهي التفاصيل التي تعكس أهمية الشرق العربي منذ العصور القديمة وكيف أنه كان يشكل أهمية خاصة عند الأمم الغربية النصرانية.

وإذا كنا قد أشرنا إلى أهمية رحلة إيثيريا، فإنه يجب علينا التعرف على شخصية إيثيريا نفسها قبل أن نتطرق بالحديث إلى موضوع البحث.

لا توجد إشارة صريحة إلى شخصية إيثيريا، باستثناء أنها جاءت من أوروبا الغربية إلى فلسطين في رحلة حج في القرن الرابع الميلادي. وبهذا فتحت الباب لاجتهادات العلماء، فمنهم من قال أنها سيلفيا الأكويتنية Silva of Aquitania أخت روفينوس Rufinus وزير الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius؛ أو إنها ناسكة عذراء أشار إليها فاليريوس Valirus في خطابه إلى الرهبان في فيرزو Vierzo؛ وربما كانت إيثيريا رئيسة لأحد الأديرة الغربية زارت الشرق في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس.⁽¹⁰⁾

وتعكس اللغة التي استخدمتها إيثيريا في تسجيل وقائع رحلتها إلى الشرق بأنها كانت على قدر من التعليم؛ كما أنها كانت على دراية جيدة بالعهد القديم والجديد؛ وأنها كانت على دراية -لا يمكننا تحديد قدرها- باللغة اليونانية، وهو ما تعكسه بعض المصطلحات اليونانية الواردة بين ثنايا وصف رحلتها. ويعكس نص رحلتها أنها كانت قوية الملاحظة وعلى إدراك كبير بما تراه وتسمعه أينما ذهبت، وهذا يجعل سردها للأحداث مثير دائماً، برغم غموض بعض العبارات الواردة في نص رحلتها.⁽¹¹⁾

وعلى الرغم من عدم وضوح خط سير إيثيريا صراحة من أوروبا الغربية إلى الشرق، يمكن أن نستنتج خط سيرها، حيث سافرت براً عبر شمال إيطاليا، وتحديدًا عبر نوريكوم Noricum، ثم باتونيا Panonia، ومؤزيا Moesia، وداكيا Dacia، وتراقيا Therace. بينما أثناء عودتها من الشرق جاءت إلى القسطنطينية عبر آسيا الصغرى، ثم إلى أولون Aulon الواقعة في إبيروس Epirus، ثم عبرت جنوبي الأديراتيك إلى هايدرونوم Hydruntum، ووصلت إلى موطنها عبر روما وميلان.⁽¹²⁾

المزارات الدينية بأرض مصر:

نود في البداية أن نشير إلى أن هدف إيثيريا من زيارتها لمصر كان زيارة المزارات الدينية، لاسيما خط سير خروج بني إسرائيل⁽¹³⁾ من مصر بالإضافة إلى الكنائس الواقعة على طريق المزارات الدينية، وفي هذا الشأن تقول: "على الرغم من أنني تعرفت على تلك الأماكن من قبل، كما ذكرت سابقاً، حينما كنت في الإسكندرية وطيبة؛ لكنني أردت أن أعرف على نحو دقيق كافة الأماكن التي سار فيها بنو إسرائيل في رحلتهم من رعسيس⁽¹⁴⁾ إلى سيناء، وجبل الله المقدس".⁽¹⁵⁾

وهكذا، سنجد أن معظم زيارات إيثيريا لمصر ارتكزت على الأماكن الدينية مثل جبل الله بسيناء والجبال المجاورة له، والوادي المقدس، وكهف النبي إيليا، وكنائس وقلايات الرهبان، والمدن التي مر بها بنو إسرائيل في رحلة خروجهم من مصر، والمدن التي ارتبطت بموسى (عليه السلام) وفرعون مصر آنذاك، كما سيرد في البحث.

وأهمية سيناء الدينية⁽¹⁶⁾ كما هو معروف للكافة أنها الأرض التي شهدت أحداثاً عظيمة فيما قبل الميلاد، سجلتها الكتب المقدسة ونصوص المؤرخين، أولها خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى (عليه السلام) عبر أراضيها، متجهين إلى أرض كنعان قبل نهاية القرن الثالث عشر ق.م.⁽¹⁷⁾ وهو ما يعرف باسم طريق الخروج⁽¹⁸⁾، ونجاتهم من فرعون الذي أطبق عليه اليم من الجانبين هو وجيشه بعد أن عبره بنو إسرائيل؛ والثاني حديث الله عز وجل لموسى (عليه السلام) وهو في الوادي المقدس، وصعوده طور سيناء وما تلاه من أحداث، والمؤكد في القرآن الكريم، وتلقيه ألواح الشريعة من الله عز وجل. وهذه الأحداث تشكل جزءاً بارزاً في العهد القديم (التوراة).⁽¹⁹⁾

بالإضافة إلى ذلك فقد شهدت سيناء مرور يوسف (عليه السلام) من خلالها إلى أرض مصر وعودته وإخوته عبر أراضيها أيضاً إلى وطنه؛ كما شهدت مرور العائلة المقدسة (المسيح عليه السلام، ومريم البتول، ويوسف النجار) وهم في رحلة هروبهم من فلسطين من وجه اليهود والرومان إلى مصر للإحتماء بها حتى يشب عيسى بن مريم (عليهما السلام) عن الطوق. لذلك نرى الكثير من النصارى حتى يومنا هذا يحرصون على زيارة سيناء لاسيما تلك المناطق، لما لها من أهمية دينية مذكورة في العهدين القديم والجديد.

جبل سيناء المقدس:

تبدأ الرحلة بزيارة إيثيريا إلى جبل سيناء المقدس، (طور سيناء، كما ورد في القرآن الكريم)، أو جبل الله المقدس كما تطلق هي عليه، لكننا نعرف من سياق الحديث بعد ذلك أن محطة انطلاقها إلى مصر كانت مدينة بيت المقدس (أورشليم)، وانطلقت منها بالطبع إلى الأماكن المجاورة.

وتشير إيثيريا إلى الطريق إلى جبل سيناء حيث تؤكد على الجمال الأخاذ للجبال التي مرت بها وتناثرت مشكلة واد يؤدي إلى جبل طور سيناء، الذي تسميه جبل الله المقدس. وتسير إلى ان ذلك الوادي الممتليء بالجبال والذي يؤدي إلى طور سيناء يبلغ طوله حوالي ستة عشر ميلاً وعرضه أربعة أميال تقريباً. وعند وصولها بصحبة المرشد أخبرها بأن من يفد إلى هذا المكان يجب عليه أداء الصلاة، بعدها يرى جبل الله المقدس. وتشير إيثيريا إلى أن بني إسرائيل مكثوا في ذلك الوادي

أربعين يوماً في انتظار عودة موسى (عليه السلام) لهم بعد أن غاب عنهم هذه المدة فوق الجبل ليكلّم رب العالمين؛ كما أنه الوادي الذي صنعوا فيه العجل المسبوك على صخرة عظيمة تقع هناك، حيث كفروا بالله. وتبين إيثيريا أن هدفها من هذه الزيارة هو رؤية الأماكن المقدسة التي ورد ذكرها في العهد القديم، وهو ما تم لها بالفعل.⁽²⁰⁾

ويبدو أن إيثيريا كانت معجبة بتلك المجموعة الجبلية، حيث تعاود الحديث عنها من حين لآخر، وتعقب عليها قائلة: "تبدو كل تلك المجموعة الجبلية كما لو كانت قمة واحدة، ولكن عند دخولك المجموعة ترى أن هناك أكثر من قمة جبلية، غير أنه يطلق على كل تلك المجموعة الجبلية جبل الرب... وعلى الرغم من أن كل القمم الجبلية تصل إلى ارتفاع شاهق، لم أره من قبل، تعد القمة الرئيسية هي تلك التي نزل عليها مجد الله، وهي أعلاهم جميعاً، وهذا ما لمسناه حين صعدنا إليها، حيث بدت الجبال الأخرى التي كنا نظنها شاهقة أسفلنا بكثير كما لو كانت تلالاً قصيرة القامة للغاية." ⁽²¹⁾ وتبدو شدة إرتفاع الجبل من قولها أنه كان بإمكانها أن ترى من فوق ربوة الجبل الأوسط أرض مصر، وفلسطين، والبحر الأحمر، والبحر الباراثيني الذي يؤدي إلى الأسكندرية، والأراضي العربية الشاسعة.⁽²²⁾

وتصف إيثيريا صعوبة الطريق التي اتخذته وزمرتها في الصعود إلى جبل سيناء، حيث كان الطريق وعراً وعمودياً لا حلزونيا، مما يصعب الصعود إليه ركوباً على الجياد، بل حتماً سيراً على الأقدام، وهو الأمر الذي يستغرق ساعات طوال، حيث بدأت رحلة الصعود عبر قمم الجبال حتى تصل إلى قمة الجبل الأوسط (طور سيناء) باكراً يوم أحد ووصلت إلى قمته الساعة الرابعة بعد الظهر. وبعد وصولها وجدت كنيسة مبنية هناك ليست ذات حجم كبير، عامرة بالرهبان، حيث استقبلها أحد رهبانها المسنين، وسرعان ما خرج الكهنة والرهبان الآخرون لاستقبال الزائرين.⁽²³⁾

وتعود إيثيريا لتؤكد على أن جبل سيناء جبل صخري لا توجد به أية أشجار أو نباتات، غير أنه هناك عند سفح الجبل قطعة أرض تعج بأشجار الفاكهة ونباتات خضراء يقوم على زراعتها الرهبان، الذين شيّدوا قلايات لهم صغيرة قريبة من المكان، حيث يقومون بأعمال الزراعة وجني الثمار. وتشير إيثيريا إلى أنها زارت - بعد أن خرجت من الكنيسة- الكهف الذي مكث فيه موسى عليه السلام عندما صعد الجبل للمرة الثانية، وتلقى فيه ألواح الشريعة للمرة الثانية بعدما كان قد كسر الألواح الأولى عندما أخطأ شعبه.⁽²⁴⁾ وهناك خارج أسوار الكنيسة شاهدت إيثيريا بعض الراهبات اللواتي كن يقمن خارج أسوار الكنيسة.⁽²⁵⁾

جبل حوريب Horeb بسيناء:

نعرف من وصف إيثيريا للمنطقة أن هناك جبل آخر متصل بجبل الله كما تسميه، طور سيناء، يعد مزاراً أيضاً من المزارات الدينية هناك، ويسمى هذا الجبل جبل حوريب، وذلك للأسباب التالية:

- لأنه الجبل الذي لجأ إليه النبي إيليا عندما هرب من وجه الملك أخاب. وحسب المعتقد النصراني فإن الله تحدث إلى النبي إيليا قائلاً: "مالك هاهنا يا إيليا؟" كما هو مكتوب في سفر ملوك الأول.

- لاحتواءه على الكهف الذي أوى إليه النبي إيليا، وكان لا يزال قائماً حتى عصرها.

- لأن به المذبح الحجري الذي أقامه النبي إيليا كي يقدم عليه قرباناً لله، وكان لا يزال واضحاً للعيان وقتذاك.

وبالقرب من هذا الجبل كان هناك مكاناً آخر يعد من مزارات سيناء وهو المكان الذي وقف فيه هارون أخو موسى عليه السلام ومعه السبعين شيخاً، عندما كان موسى عليه السلام يستلم الشريعة من الله لأجل بني إسرائيل. وحسب روايتها فإنه كانت هناك صخرة مستديرة مستوية في ذلك المكان وهي التي وقف عليها هؤلاء الرجال المصاحبين لهارون.⁽²⁶⁾

الوادي المقدس:

تشير إيثيريا إلى الوادي المقدس والذي قطعت المسافة من جبل طور سيناء إلى قمة ذلك الوادي الذي تقع فيه تلك الجبال في حوالي ساعتين، حيث كانت هناك كنيسة لها حديقة يجري فيها ماء صاف، وعدد من قلايات الرهبان، وكذلك العليقة الواقعة في حديقة مزهرة، والتي خرج منها صوت الله عز وجل متحدثاً لنبيه موسى (عليه السلام)، وكذلك الموضع الذي تحدث فيه الله عز وجل إلى نبيه موسى (عليه السلام)،⁽²⁷⁾ قائلاً له: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى).⁽²⁸⁾

وتؤكد إيثيريا على أن ذلك الوادي هو الذي شهد انتظار بني إسرائيل لنبي الله موسى (عليه السلام) عندما صعد إلى جبل الله من ذلك المكان. وتشير إلى منازل بني إسرائيل التي نزلوا بها هناك والتي مكثوا فيها في انتظار النبي عودة موسى (عليه السلام) من أعلى الجبل. ونظراً لكثرة المواقع الدينية أو المزارات التي كان على الحجاج النصاري زيارتها في سيناء والتي وصفتها إيثيريا مجملة فسوف نوردتها على لسانها كما ذكرتها على النحو التالي:

"وبينما كنا ذاهبين إلى الجانب الآخر من الوادي شاهدنا قمة الجبل التي تطل على الوادي بأكمله، وهي التي رأى منها موسى النبي بني إسرائيل وهم مشغولون بالرقص حالما صنعوا العجل المسبوك؛ كما رأينا الصخرة العظيمة التي نزل عليها موسى النبي مع يشوع بن نون Joshua son of Nun،⁽²⁹⁾ عندما كسر موسى في غضبه ألواح الشريعة التي كان يحملها على نفس الصخرة. كما رأينا الأماكن التي اتخذوا منها بيوتاً لهم في الوادي، حيث تظهر أساسات تلك المنازل حتى هذا اليوم، وهي منازل دائرية الشكل مصنوعة من الحجارة. كذلك رأينا المكان الذي عاد منه موسى النبي من الجبل، وأمر بني إسرائيل أن يمروا من باب إلى باب. ورأينا كذلك المكان الذي صنع فيه هارون العجل المسبوك لبني إسرائيل والذي أمر موسى النبي بحرقه."⁽³⁰⁾

"كما رأينا الجدول الذي سقى منه موسى النبي بني إسرائيل، حسبما ورد في سفر الخروج Exodus... كذلك رأينا المكان الذي انتهى فيه بني إسرائيل أكل اللحم. ورأينا أيضاً المكان الذي يدعى "محرقة"، عندما اشتعل جزء من مخيم بني إسرائيل، فصلى موسى إلى ربه، فخمدت النار. كما رأينا الموضع الذي أمطرت فيه السماء عليهم المن والسلوى..."⁽³¹⁾

ويبدو أنه من كثرة الأماكن التي زارتها فإنها نصحت بالرجوع لوصف تلك الأماكن في العهد القديم، وجميعها كانت محل زيارتها، غير أنها رأت أنه من الصعوبة بمكان أن تقوم بسردها. وهنا تقدم معلومة مهمة في تاريخ بني إسرائيل وهي أنهم احتفلوا بعيد الفصح هناك بمناسبة مرور السنة الأولى على خروجهم من أرض مصر، حيث سكنوا الوادي المقدس لبعض الوقت، كما سبق وذكرنا.⁽³²⁾

بقاع مصر على طريق العودة من جبل سيناء إلى بيت المقدس: (33)

ربما ما سنذكره في هذا الموضع قد يرى البعض أنه لا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمناطق دينية كانت موضع اهتمام الزائر لمصر في القرن الرابع الميلادي، غير أن إيثيريا تقدم معلومات جغرافية مهمة للغاية عن خط سير الزائر لمصر سواء كان حاجاً نصرانياً أم رحالة آتياً لها، فقد كانت قد بدأت زيارتها لسيناء براً عبر نفس الطريق الذي ستعود منه إلى بيت المقدس ثانية، حيث تقع شتى المواقع التي زارتها في جنوب سيناء، جبل الله المقدس بسيناء، والوادي المقدس، وطريق الخروج الذي سلكته بني إسرائيل عند خروجها من مصر، وغيرها. وسنجد أنها بدأت في السير من جنوب سيناء باتجاه الغرب، أي نحو مدينة القلزم Clysmā،⁽³⁴⁾ عبر فاران.⁽³⁵⁾

تشير إيثيريا إلى أن بلدة فاران Faran تقع على مسافة خمسة وثلاثين ميلاً نحو الغرب من طور سيناء، أي غرب سيناء، ويبدو من وصفها أنها كانت محطة استراحة للحجاج القادمين من طور سيناء، حيث مكثت هناك لمدة يومين بغية

الاستراحة من عناء الطريق، وربما لأن هذه البلدة ورد اسمها في العهد القديم أيضاً؛⁽³⁶⁾ استكملت بعدها المسيرة بين الجبال الواقعة في صحراء فاران إلى أن وصلت إلى ساحل البحر الأحمر، حيث يسير الطريق بحذاء البحر على نحو متصل، على الرغم من تعرج الطريق بحيث يلامس شاطئ البحر تارة وتارة أخرى يبتعد عنه بمسافة مائة أو مائتي متر.

والجدير بالذكر أن أهالي فاران كانوا يميزون الطريق بعلامات أو شواهد مثبتة في الأرض حتى يميزها المسافرون عبر تلك الصحراء على ظهور الإبل، وسيلة التنقل في فاران؛ وتبين إيثيريا كيف أن أهالي فاران يسافرون في أمان تام سواء ليلاً أم نهاراً.⁽³⁷⁾

وبعد هذه الرحلة وصل الركب إلى القلزم Clysma، الذي تشير إلى أنه أخذ الاسم من حصن هناك كان يسمى القلزم، دون الإشارة إلى كونه ميناءً حيويًا آنذاك أم نقطة عبور فقط،⁽³⁸⁾ وذلك للاستراحة والتزود بالمؤن، مما يشير إلى أن المسافة بين القلزم وطور سيناء كانت تستغرق قرابة الثلاثة أيام على ظهور دواب الركوب. وكانت بمنطقة القلزم حاميات عسكرية رومانية، يربط جنودها وضباطها في ثكنات عسكرية في أربعة مناطق حول القلزم، وكانوا يرافقون زوار المنطقة عند تنقلهم من حصن لآخر، بينما كان الرهبان يرافقونهم في المزارات الدينية الواقعة على يمين ويسار الطريق.

ومن القلزم رأت إيثيريا أن تتجه إلى بلدة أرابيا Arabia⁽³⁹⁾ الواقعة في أرض غوشين Goshen،⁽⁴⁰⁾ وهي جزء من أرض مصر، والتي كانت ترى أنها أفضل بقاع مصر على الإطلاق.⁽⁴¹⁾ وهناك عندما وصلت إلى مجدل Migdol شاهدت إيثيريا ورفاقها إيبوليوم Epoleum،⁽⁴²⁾ حيث كانت هناك حامية عسكرية رومانية مكونة من جنود يرأسهم ضابطاً رومانياً لحفظ الأمن الروماني هناك. ونظراً لمرور الزائر عبر معسكر الجند فقد استوجب الأمر-كما هي العادة- أن يرافقوا الزائر عند مروره من حصن إلى آخر.

ومن المزارات التي رأتها إيثيريا على طريق العودة من مصر إلى بيت المقدس بلدة يعل صفون Beal-Zephon (قبالة القلزم)، ثم السهل الذي دخلت إليه بنو إسرائيل عندما كانت تلاحقهم قوات فرعون مصر، والذي كان يقع في مستوى أعلى من سطح البحر الأحمر. كما شاهدت إيثيريا إيثام Etham عند طرف البرية، التي مرت بها بنو إسرائيل عند خروجهم من سكوت،⁽⁴³⁾ وكذلك هضبة سكوت Succoth، التي كانت قد أقامت عندها بنو إسرائيل عند خروجهم من مدينة رعمسيس Rameses؛⁽⁴⁴⁾ ثم شاهدت مدينة فيثوم Pithom، التي شيدها بنو إسرائيل لفرعون مصر، وإن تحولت آنذاك لحصن يحمل نفس الاسم.

ومع دخول ركب الزوار أرض مصر رأوا مدينة هيرو Hero، وهي تقع في الإقليم السادس عشر من أرض غوشين داخل حدود مصر، والتي كانت قائمة زمن يوسف عليه السلام عندما قابل هناك أباه يعقوب، وكانت في القرن الرابع الميلادي مجرد بلدة أو قرية عامرة بها كنيسة ونصب للشهداء وعدد من قلايات الرهبان الجديرة بالزيارة. وتشير إيثيريا إلى أن هذه البلدة كانت مكاناً مناسباً ليرابط الجند الرومان به وذلك لجريان فرع للنيل هناك.

وبعد زيارة هيرو، وصلت إيثيريا إلى أرابيا الواقعة في أرض غوشين- كما سبق وذكرنا- والتي قيل عنها أن فرعون مصر قال ليوسف عليه السلام هناك: "أرض مصر أمامك، أسكن أنت وأباك واخوتك في أفضل أرضها، في جاسان".⁽⁴⁵⁾ وبرغم أنها زارت مصر قبل ذلك كما يتضح من حديثها، إلا أنها كانت حريصة على زيارة كافة المواقع سواء الدينية أم غير الدينية الواقعة في أرض غوشين وكذلك التي مر بها بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر عبر القلزم ثم سيناء والواردة في الكتاب المقدس.⁽⁴⁶⁾

ومر الزوار بعد ذلك بأطلال مدينة رعميس Rameses، الواقعة على مسافة أربعة أميال من أرابيا، والتي قيل أن فرعون مصر أثناء ملاحقته لبني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر قام بإحراق مدينة رعميس.⁽⁴⁷⁾ ومن الأشياء البارزة ضمن أطلال مدينة رعميس تماثيل حجريين كبيرين نُحتا من أحجار طيبة، يقال أنهما للنبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وذلك عندما بلغا شأناً رفيعاً عند بني إسرائيل.

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك شجرة جميز مباركة-إذا جاز التعبير- متوغلة في القدم وتسمى باليونانية القديمة dendrasalethcae، يأتي إليها كل من كان ينشد الشفاء من الأسقام، فما أن يأكل كطفها حتى يشفى من مرضه، وذلك على حد رواية الرهبان هناك.⁽⁴⁸⁾

وعند الوصول إلى مدينة أرابيا عادت الجند الرومان الذين كانوا يرافقون الزوار لحمايتهم عبر الطرق غير الآمنة-طبقاً للنظام الروماني- إلى ثكناتهم، نظراً لسيرهم آنذاك على الطريق العام الأهل بالمواطنين، حيث اتخذوا طريقهم بحذاء نهر النيل عبر الملكيات الزراعية الكبيرة وبساتين الفاكهة والحقول المزروعة بعناية فائقة ومزارع الكروم والبلسم التي كانت تعج بها أرض غوشين، حتى وصلوا إلى مدينة تنيس Tennis، مسقط رأس موسى (عليه السلام)، بعد مسيرة يومين من أرابيا؛ ومنها توجهوا إلى مدينة بيلوزيوم Belosium.⁽⁴⁹⁾

المزارات الدينية بوادي الأردن:

ما فتنت إيثيريا تصل إلى بيت المقدس حتى قررت زيارة الأماكن الدينية في وادي الأردن، لاسيما جبل نبو Nebo الذي يقع في وادي الأردن، وذلك لأن الله أمر موسى عليه السلام أن يصعد قائلاً له: " اصعد جبل عباريم، وهذا جبل نبو الذي في أرض موآب، الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان (50) التي أعطيتها لبني إسرائيل ملكاً... (51) وقد انطلقت إيثيريا لزيارة موضع في الأردن كان بنو إسرائيل قد عبروه عندما كان يشوع بن نون يقودهم عبر الأردن بعد وفاة موسى (عليه السلام)، حسبما ورد في سفر يشوع Joushua son of Nun؛ (52) وهو الموضع الذي صنع فيه أسباط راثوبين Reuben، وجاد Gad، ومَنَسَّى Manassah، مذبحاً، كان أعلى قليلاً من ذلك الجانب على ضفة النهر من جهة أريحا.

وبعد عبور إيثيريا ورفاقها لنهر الأردن وصلوا إلى مدينة تسمى ليفياس Livias، (53) وهي التي يوجد بها السهل الذي أقام فيه بنو إسرائيل في ذلك الوقت، حتى أن أساسات مخيمهم ومنازلهم كانت لا تزال باقية حتى زمن زيارة إيثيريا لها. وذلك السهل هو سهل فسيح يقع شمال أراضي الجزيرة العربية أعلى وادي الأردن، وهو الذي قيل عنه: "فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب في الأردن قبالة أريحا أربعين يوماً..." (54) ومكتوب في سفر التثنية في العهد القديم أن موسى (عليه السلام)، رجل الله، بارك أسباط بني إسرائيل جميعاً بالترتيب قبل موته. (55)

وبعد زيارة ذلك السهل، كان الموضع الثاني للزيارة هو جبل نبو حيث عرض عليهم كاهن كهل إمكانية رؤية عين موسى أولاً، التي تدفق منها الماء بأمر الله ليسقي منها موسى (عليه السلام) بني إسرائيل، وكانت تقع على مسافة ستة أميال من جبل نبو، عند قمة جبل آخر لم تسميه إيثيريا، يقع خلف جبل نبو بليفياس. (56) وهناك كانت تقع كنيسة صغيرة هناك زاخرة بالزهاد والنسك النصارى، الذين استقبلوا الوفد الزائر أحسن استقبال. وهناك وصف للعين المذكورة حيث كانت تتدفق من صخرة واقعة في المنتصف بين الكنيسة وقلايات النسك، حيث ماؤها عذب صاف وقرقراق للغاية، سائغ المذاق. (57)

ويأتي الموقع الثالث من مواقع المزارات الدينية بالمنطقة وهو جبل نبو، الذي سبقت الإشارة إليه، حيث كانت هناك كنيسة متوسطة الحجم تقع على قمته، وتحتوي هذه الكنيسة على مقبرة تقع على مكان مرتفع قليلاً بها جثمان موسى (عليه السلام) - حسب رواية الرهبان القائمين بالكنيسة، والذين بينوا أن قبره لا يعرف مكانه أحداً اللهم إلا هم الذين توارثوا الخبر عن آبائهم وأجدادهم من الرهبان بذلك المكان.

وفي الواقع فإن قضية عدم معرفة قبر موسى (عليه السلام) واردة في العهد القديم وليست من بنات أفكار الرهبان هناك، حيث ورد ما يلي: "فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوَابَ حَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَّنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُوَابَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فُغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ."⁽⁵⁸⁾

من ناحية ثانية نجد أن الإمام البخاري أورد ذكراً لقبر موسى (عليه السلام) نقلاً عن النبي (عليه الصلاة والسلام)، وهو ما قد يدعم رواية العهد القديم ورواية الرهبان من أن قبر موسى (عليه السلام) على مقربة من أرض فلسطين، وهو بحسب رواية الرهبان بوادي الأردن بمرمي البصر من فوق جبل نبو قرب الأراضي المقدسة أو على بعد رمية حجر حسب قول النبي (عليه الصلاة والسلام)؛ حيث يقول الرسول (عليه الصلاة والسلام) في هذا المقام: "أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطي يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال أبو هريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر."⁽⁵⁹⁾

ومن الأشياء التي ميزت جبل نبو أنه كان بإمكان الزائر أن يرى من على ربوته عدداً من المواقع المذكورة في العهد القديم، والتي نزل بها بنو إسرائيل، حال خروجه من باب الكنيسة ووقوفه على الجانب الآخر من قمة الجبل؛ حيث رأى الزوار من هناك المكان الممتد من وادي الأردن حتى البحر الميت، وكذلك أريحا، والجزء الأكبر من فلسطين، بالإضافة إلى كل أراضي الأردن، وأراضي سدوم Sodomites⁽⁶⁰⁾، وصوغر Segor⁽⁶¹⁾، المدينة التي كانت لا تزال باقية من المدن الخمسة منذ العهد القديم وحتى القرن الرابع الميلادي، حيث كان يوجد نصيباً بها، بينما لم يتبق سوى أطلال المدن الأربع الأخرى. كما رأوا المكان الذي به النقش الخاص بزوجة لوط والمذكور في الكتاب المقدس، بينما اختفى العمود الذي عليه النقش تحت ماء البحر الميت، وكان يقع هذا المكان على بعد ستة أميال من مدينة صوغر.

وعلى الجانب الأيمن من أبواب الكنيسة الواقعة على جبل نبو يمكن للزائر رؤية مدينتين هما حشبون والتي تدعى الآن إزبون Esebon/Exebon، والتي تنسب إلى سيجون Seon، ملك العموريين؛ والمدينة الثانية هي باشان Basan⁽⁶²⁾ كما يمكن رؤية مدينة فغور Fogor، مدينة مملكة إدوم المقابلة للجبل أيضاً⁽⁶³⁾ وغالبية هذه المدن كانت تقع على قمم جبال باستثناء القليل منها الذي يقع بالأسفل

والذي كان يبدو أكثر جمالاً. وعند هذه المدن كانت أطلال مخيمات بني إسرائيل لا تزال باقية وظاهرة للعيان حتى ذلك الوقت.

ونحو الجانب الأيسر من قمة جبل نبو كان يمكن رؤية جبل حاد الرأس كان يسمى قديماً "حقل صوفيم Agri Specula"، ويقال عنه أنه الجبل الذي بارك فيه بالاك بن بيور Balak son of Beor بلعام المتنبئ Balaam ليلعن بني إسرائيل، حسب رواية إيثيريا.⁽⁶⁴⁾

المزارات الدينية بأرض فلسطين: (65)

أ. أرض عوص Ausitis:

كان يتميز هذا المكان بوقوع قبر النبي أيوب (عليه السلام) بإحدى المدن الواقعة به وتسمى مدينة كارنياس Carneas، وهو الموقع الذي كان يشير رهبان بيت المقدس على كل زائر بضرورة زيارته والصلاة عنده. وتشير إيثيريا إلى أن هذه المدينة كانت قديماً تسمى دنهابة Dennaba الواقعة في أرض عوص، على حدود إدوم Idumea والجزيرة العربية Arabia .

ومن المشاهدات التي رأتها إيثيريا ورفاقها على ضفة نهر الأردن وهم في طريقهم لزيارة مدينة كارنياس، وتحديد قبر أيوب (عليه السلام) الواقع بها، واد خلاب المنظر، مبهج، تغطيه أشجار الكروم وأشجار أخرى، وسبب وجود هذه المزروعات الياضعة هناك هو توافر المياه الصافية النقية.

وبالإضافة إلى ذلك كانت تقع بنفس الوادي قرية عامرة كانت تسمى في القرن الرابع قرية سديم Sedima، يقع في وسطها تل منخفض، صغير الحجم؛ وكانت قرية سديم تقع في مستوى سطح الأرض ومساكنها على هيئة المقابر الواسعة، كما اعتادت أن تكون المقابر في ذلك الوقت. وتوجد بالقرية كنيسة فوق قمة التل كانت تسمى باليونانية القديمة opus Melchisdech، حيث يقول الأدلاء أن ذلك هو المكان الذي قدم فيه الملك "ملكي صادق" قرباناً لله؛⁽⁶⁶⁾ كما توجد كنيسة أخرى دون مستوى سطح الأرض. وكانت توجد بعض الأساسات القديمة الرائعة المنظر حول التل، بينما لم تزل بعض الآثار المهمة بتلك القرية باقية حتى القرن الرابع الميلادي.

وقد قدمت إيثيريا معلومات مهمة عن تلك القرية العامرة، حيث سألت الأدلاء المرافقين لها عن هذه القرية فأخبروها أنها كانت بلدة الملك "ملكي صادق Melchizedek" والتي كانت تدعى قديماً شاليم بالعبرية أو ساليم Salim، أما زمن إيثيريا فكانت تدعى سديم Sedima . كما تشير إلى أن الأساسات الرائعة الموجودة حول التل هي أطلال قصر الملك "ملكي صادق". وتشير إيثيريا إلى أن

الطريق الذي ساروا فيه بين نهر الأردن وقرية سدوم هو نفس الطريق الذي رجع منه إبراهيم (عليه السلام) إلى سدوم Sodom، بعد هزيمته للملك كدر لعومر وحلفائه، حيث خرج لاستقباله الملك "ملكي صادق"، ملك شاليم.⁽⁶⁷⁾

ب. عين نون Aeon: (68)

ومن الأماكن الدينية التي كان يشير رهبان بيت المقدس على الزوار والحجاج بزيارتها عين نون، حيث كانوا يعتقدون أن القديس يوحنا المعمدان عمد فيها بالقرب من بلدة شاليم (سدوم)، وكانت هذه العين تبعد حوالي مائتي ياردة أو خطوة عن سدوم سيراً على الأقدام عبر واد غاية في الجمال ينتهي إلى بستان خلّاب، كان يسمى باليونانية القديمة بستان القديس يوحنا hortus sancti *κη=ποφ του= α(γ/ου) Ιωα/ννου* أو كما في اللاتينية *Iohannis*، في منتصفه نبع صاف يخرج منه إلى القرية جدول رقراق متدفق على نحو مستمر. وهذا النبع كانت تفيض مياهه مكونة بركة من المياه الصافية النقية عند منبعه. وتكمن أهمية هذا المكان أن الرهبان النصارى كانوا يعتقدون أن القديس يوحنا المعمدان تعمد في مياهه ومن ثم يأتون من كل فج عميق بغية التطهر وذلك بغمر أنفسهم في مياهه من أجل التطهر، مع تلاوة بعض المزامير وإقامة بعض الصلوات هناك. ولم يقف الأمر عند الرهبان فقط، بل إن سكان بلدة سدوم دائماً ما كانوا يذهبون إلى هذا النبع للتعميد ثم يكرون عائدين لكنيسة "ملكي صادق" بقرية سدوم قبل غروب الشمس بصحبة رجال الدين والرهبان، بعد أن ينالوا البركة *eulogiae* من كاهن خارج بستان يوحنا المعمدان ومن الرهبان المقيمين في قلاياتهم بنفس البستان.

ت. مدينة إيليا Elijah: (69)

يمكن للزائر لمنطقة وادي الأردن أن يسير على ضفة نهر الأردن فيصل إلى مدينة تشيبي Thesbe، وهي مدينة إيليا التشيبي *Elijah the Tishbite*،⁽⁷⁰⁾ التي منها حمل كنيته؛ حيث كان بها الكهف الذي كان يصلي بداخله؛ كما كنت توجد مقبرة Getha، أي يفتاح الطوبواي Jephthah، المذكور اسمه في سفر القضاة،⁽⁷¹⁾ والذي كان يعيش في قلاية هناك صنعها لنفسه.⁽⁷²⁾

ث. نهر كريث Cherith:

كما كان يقع هناك وادي كريث Corra، حيث استقر عنده إيليا التشيبي زمن الملك آخاب Ahab؛ وعندما وقعت مجاعة أمر الله غراباً أن يحضر لإيليا الطعام كل يوم، وكان يشرب من النهر الذي يجري عبر الوادي قبالة الأردن، والمسمى نهر كريث.⁽⁷³⁾

ج. قبر أيوب البار Job: (74)

نظراً لأن النص الأصلي لمخطوطة رحلة إيثيريا به فجوة فإن الحديث التالي لا يشير إلى الموضع الذي به قبر أيوب البار صراحة، لكننا نستخلص من بين ثنايا النص أن أحد الرهبان رأى رؤية ذات يوم وهو في قلايته بالصحراء فقرر أن يذهب إلى أسقف مدينة كارنياس ليقصها عليه، والتي تتلخص في ضرورة الحفر في مكان بعينه هناك، حيث عثروا على كهف ساروا بالحفر داخله لمسافة مائة ياردة فظهر لهم شاهد قبر، وعندما هموا باستخراجه وجدوا اسم أيوب منقوشاً على الغطاء. وقد أقيمت كنيسة لأيوب البار في ذلك الموضع الذي عثروا فيه على شاهد القبر والجثمان، الذي كان يجب أن يدفن أسفل المذبح.

وقد بنى هذه الكنيسة أحد التربيونات **tribune**؛ غير أن بنائها لم يكتمل حتى القرن الرابع الميلادي وقت زيارة إيثيريا للمكان، والتي عادت إلى بيت المقدس بعد أن أقامت بعض الصلوات هناك، حيث مرت بنفس المحطات التي سبق لها أن مرت بها منذ ثلاث سنوات خلت. ولم يذكر النص سبباً لعدم اكتمال البناء أو اسم التربيون الذي شرع في إنشائها.

ح. أورشلیم Jerusalem (بيت المقدس) وضواحيها: (75)

لا تصف إيثيريا مدينة بيت المقدس بصورة مستقلة كما وصفت المزارات الأخرى، برغم أهمية المدينة من الناحية الدينية سواء عند اليهود أم عند النصارى، بل ركزت جل حديثها عن الإحتفالات الدينية النصرانية بها. وقد أثرنا الحديث عن بيت المقدس في هذا الموضع لأنها كانت نقطة الارتكاز والإنطلاق لها، فمنها انطلقت إلى مصر أولاً، ثم إلى منطقة وادي الأردن ونهر الأردن، ثم انطلقت بعد ذلك إلى مدن شمالي الشام وبلاد ما بين النهرين، كما سيرد بعد ذلك. وسوف نحاول أن نستخلص المعالم الدينية للمدينة من خلال حديث إيثيريا عن الطقوس والشعائر الدينية بها، سواء اليومية أم الشهرية أم السنوية، ونظام الخدمة والواجبات الدينية، وهي بطبيعة الحال خارج موضوع البحث. وسوف نبدا بأولى هذه المعالم ثم تليها البقية إذا سمح النص بذلك.

1. **كنيسة القيامة:** تشير إيثيريا إلى كنيسة القيامة الواقعة ببيت المقدس وأن هذه الكنيسة كانت تفتح أبوابها للمصلين، سواء أكانوا من رجال الدين والرهبان والمنشدين أم من عامة الناس، مع ساعات الفجر الأولى لعمل قداس الصباح، أو للإحتفال بقديسين بعينهم، حيث تذكر أسماؤهم في هذه الحالة إسماً إسماً أثناء الصلاة، التي كانت تصحبها الترانيم والأناشيد الدينية. وبعد الإنتهاء من الصلوات يقوم أسقف الكنيسة بمباركة الحاضرين، الذين يقبلون يده عند خروجهم منها. (76) ويتكرر نفس الوصف عند ذكرها لكل صلاة. غير أنها في وصف صلاة يوم الأحد تشير إلى احتشاد جموع غفيرة من المواطنين منذ الصباح الباكر داخل كنيسة القيامة ليتمكن كل فرد من إيجاد مكان له بداخلها، لدرجة أن بعضهم كان يأتي قبل موعد الصلاة بساعات طويلة. (77)

2. **الكنيسة العظمى:** وتسمى أيضاً كنيسة الجلجثة. وهنا تشتير إيثيريا إلى احتشاد الناس أيضاً يوم الأحد في الكنيسة العظمى التي شيدت بالقدس في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول، وهي الموجودة في الجلجثة، خلف موضع الصليب الذي كان قد أعد لصليب السيد المسيح (عليه السلام). وتشير إلى أن الصلاة في ذلك اليوم تطول عن غيرها من الصلوات وذلك لكثرة العظات والخطب الدينية يومها حتى أن الناس ينصرفون من الكنيسة نحو الساعة الرابعة أو الخامسة مساءً. وحينئذ ينصرف الرهبان بصحبة أسقف الكنيسة العظمى إلى كنيسة القيامة مصحوبين بالألحان والترانيم. وعند وصوله لكنيسة القيامة يتجه مباشرة إلى صحن هيكل الشهداء ليبدأ في الصلوات. (78)

ومن الأشياء اللافتية للنظر في النص هنا هو وصف إيثيريا العام لزينة الكنائس يوم عيد الغطاس، سواء الكنيسة العظمى أم كنيسة القيامة أم كنيسة الصليب أم كنيسة بيت لحم حيث تقول: "أنك لا ترى هناك سوى الذهب والأحجار الكريمة والحريير. فإذا نظرت إلى ستر الهيكل تجده مصتوع بالكامل من الحرير المذهب، وكذلك الستائر كلها مصنوعة من الحرير المذهب. وأواني الكنيسة المصنوعة بكاملها من الذهب والأحجار الكريمة تخرج للاستخدام في ذلك اليوم. وجقا، من ذا الذي يستطيع أن يحصي أو يصف أو يزن الشموع والقناديل والأواني المتنوعة؟ وماذا أقول عن زخرفة أبنية الكنائس نفسها، التي زخرفها قسطنطين بناء على طلب والدته بالذهب والفسيفساء والرخام النفيس بقدر ما سمحت به موارد مملكته". (79)

وإلى جانب المعلومات المهمة التي قدمتها إيثيريا عن زخرفة وزينة كنائس بيت المقدس، تقدم لنا وصفا مهما لما يحدث أثناء الاحتفال بعيد من الأعياد، حيث لا تقام الصلوات أو الإحتفال في كنيسة واحدة بل يقسم الإحتفال الواحد على كافة كنائس بيت المقدس وما حولها. فعلى سبيل المثال عند الإحتفال بعيد الغطاس يبدأ الإحتفال في اليوم الأول في الكنيسة العظمى، ثم ينتقل إلى كنيسة القيامة. وفي اليوم الثاني والثالث يكون الإحتفال في الكنيسة العظمى، ثم ينتقل الإحتفال في اليوم الرابع إلى جبل الزيتون Eleona حيث تقع هناك كنيسة غاية في الجمال، وفي اليوم الخامس يكون الإحتفال في بيت لعازر the Lazarium، الذي يبعد حوالي ألف وخمسمائة ياردة عن بيت المقدس، وفي اليوم السادس يكون الإحتفال في صهيون، وفي اليوم السابع يكون الإحتفال في كنيسة القيامة، وأخيراً يكون احتفال اليوم الثامن عند كنيسة الصليب. (80)

3. **جبل الزيتون:** من المعروف أن جبل الزيتون يحتل مكانة دينية عند النصارى كافة، لأن هناك معتقد بينهم وهو أن السيد المسيح (عليه

السلام) كان هناك مع رسله بصورة يومية في الموضع الذي بنيت عليه كنيسة هناك. لذلك ليس من المستغرب أن تقام بعض الإحتفالات الدينية على جبل الزيتون في الكنيسة القائمة هناك، لاسيما في المناسبات والأعياد الدينية. فكما سبق عرضه يذهب المواطنون إلى جبل الزيتون في اليوم الرابع من احتفالات الأيام الثمانية بعيد الغطاس؛ وفي اليومين الرابع والثامن من الإحتفال بعيد القيامة؛ وكذلك عند احتفالهم بخميس العهد مقيمين الصلوات والترانيم والألحان الدينية.⁽⁸¹⁾

4. **جبل صهيون:** كان يقع هذا الجبل بالقرب من بيت المقدس، وقد جاء ذكره للمرة الأولى في العهد القديم، كموقع لحصن من زمن اليبوسيين.⁽⁸²⁾ وهو من المعالم الدينية المهمة في صهيون ما عرف باسم "عمود الجلد"، وهو الذي عذب الرومان السيد المسيح عنده. لذلك كانوا يذهبون إليه في الأعياد الدينية كخميس العهد، وعيد القيامة على سبيل المثال، حيث يقيمون الصلوات مرددين الترانيم والألحان الدينية.⁽⁸³⁾

مزارات ما بين النهرين Mesopotamia وبلاد الشام:⁽⁸⁴⁾

تصف إيثيريا رحلة عودتها من بيت المقدس إلى أوروبا عبر القسطنطينية. ولا يهنا هنا دراسة الطريق الذي سلكته، بل ما يلفت النظر هنا أنها لم تتخذ الطريق البحري من عكا على سبيل المثال إلى القسطنطينية، بل اتخذت الطريق البري عبر بلاد الشام، وتحديداً عبر أنطاكية، وذلك لتتمكن من زيارة بعض المدن الواقعة شمالي الشام والتي تحوي ذخائر مقدسة عند النصاري، أو بها مواقع دينية لها أهمية خاصة. مما يجعلنا نتتبع طريقها عبر أقاليم بلاد الشام وما بين النهرين.

ويشير نص الرحلة إلى أن منطقة ما بين النهرين وشمال الشام كانت تعج بالرهبان والراهبات الذين كرسوا حياتهم للعبادة والتبتل، وأنه ما من رحلة أو حاج تطيء قدماه أرض الشرق إلا وزار أنطاكية Antioch والرها Edessa وكذلك حرّان Harran وغيرهم، كما سيرد فيما يلي:⁽⁸⁵⁾

أ. من أنطاكية إلى الرها :

تشير إيثيريا إلى أنها سارت عبر أراضي إقليم Augusto Fratensis حيث وصلت إلى مدينة هيرا (هيرابوليس Hierapolis)، عاصمة الإقليم، وهي مدينة غاية في الجمال على حد وصفها، شاهدت بها خمسة عشر معلماً سياحياً على نهر الفرات، حيث عبرته مستخدمة إحدى السفن الكبار العاملة في نهر الفرات، لتصل إلى إقليم ما بين النهرين. وبعد عبورها للنهر سارت حتى وصلت إلى مدينة باتانيس

Batanis، المذكورة في الكتاب المقدس. وهذه المدينة مكتظة بالسكان، وبها جنود الترييون، حيث يقيمون بصورة مستديمة بها، ولها كنيسة يرأسها أسقفاً. (86)

وأخيراً وصلت إثيريا إلى مدينة الرها، المحطة الرئيسية في زيارتها لبلاد ما بين النهرين، حيث كان يرقد بها جثمان القديس "توماس الرسول". ويشير بقاء إثيريا بالمدينة ثلاثة أيام متتالية إلى وجود ما يستحق الزيارة، فلم تكن أهميتها الدينية متوقفة عند وجود جثمان القديس توماس بها، بل لأنها حوت أيضاً رفات العديد من الشهداء، الذين استشهدوا من أجل المسيحية، والذين كان الرهبان يقيمون بجوار موضع جثامينهم أو في قلايات قريبة منها. ومما يزيد من أهمية مدينة الرها أيضاً وجود قصر الملك أبجر Abgar الذي آمن برسالة السيد المسيح (عليه السلام) قبل أن يراه. (87)

وهناك في فناء قصر الملك أبجر كان يقع تمثال له صنع من المرمر اللامع، الذي يشبه بريقه بريق اللؤلؤ؛ كما كان يوجد تمثال آخر لابن الملك أبجر المدعو ماجنوس Magnus مصنوع من المرمر أيضاً. أما الجزء الداخلي من قصر الملك أبجر فقد كان يوجد به نافورات تتدفق منها المياه للمدينة وهي مليئة بالسلك المميز المذاق والشكل. (88)

ويشير النص إلى أن السيد المسيح (عليه السلام) أرسل رسوله أنانياس Ananias إلى الملك أبجر يبشره فيها أنه سوف يرسل إليه جثمان القديس توماس الرسول ليدفن في الرها. وهذه الرسالة كانت محفوظة في الرها، حيث يوجد النصب التذكاري هناك. (89) ويقول يوسابيوس القيصري أن السيد المسيح (عليه السلام) رفع بعدها إلى السماء. (90)

ويقدم النص معلومات مهمة عن مدينة الرها وحصار الفرس لها زمن الملك أبجر؛ وبرغم أن النص تغلب عليه الصبغة الدينية إلا أنه يمثل وثيقة مهمة للأحداث التاريخية بالمنطقة. يشير النص إلى تقدم الفرس لمهاجمة المدينة ومن ثم حاصروها ليمنعوا عن أهلها الزاد والماء. وهنا أحضر الملك أبجر رسالة السيد المسيح (عليه السلام) له إلى بوابة المدينة وهو واقف وسط جيشه مخاطباً قواته قائلاً: "أيها الرب... أنت وعدتنا أنه لن يدخل المدينة أحداً من أعدائنا، وهاهم الفرس يهاجموننا الآن".

جدير بالذكر أن هذه هي البوابة التي مر منها رسول السيد المسيح (عليه السلام) أنانياس للملك أبجر. ولهذا، أصبح لها مكانة خاصة بين السكان، حيث لا يمر أي متوفى من خلالها، ولا يعبرها إلا المطهرون، كما لا يعبرها كل من يلبث ملابس حداد. (91)

وعندما كان الملك يرفع يده إلى السماء وهو ممسك بالرسالة جاءت غيامة أو ظلمة هائلة أمام عيون الفرس خارج المدينة، وكانوا أنذاك على بعد ثلاثة أميال منها. وهنا وقع الارتباك بين قوات الفرس بسبب الظلام المفاجيء وعجزوا عن رؤية ما حولهم أو الطريق المؤدي إلى المدينة. وبرغم هذا، فقد أحكموا حصارهم للمدينة لعدة أشهر، بل قاموا بتحويل مجرى المياه الذي كان يأتي من تل صغير قبالة المدينة ليزود سكان الرها بالمياه. وهكذا، أصبحت المدينة بلا ماء بعد ان حول الفرس مجرى المياه إلى معسكرهم. وهنا- حسب نص الرواية- فجر الله العيون أو نافورات المياه التي سبقت الإشارة إليه في الموضع الذي بنى فيه الملك أبحر قصره ليشرّب منها سكان المدينة، بينما لم يعد يتساقط المطر ليروي المجرى الذي يزود معسكر الفرس بالمياه. ونتيجة لطول الحصار مع العطش الذي أصاب المعسكر الفارسي وفشلهم في دخول المدينة، كل هذا أودى بهم لرفع الحصار عن المدينة والعودة إلى فارس.⁽⁹²⁾

ويقدم النص معلومات مهمة أيضاً عن قصر الملك أبحر، حيث نستشف منه أن القصر بني على تل عال، في الموضع الذي تقجرت فيه العيون، وأنه بني بعد الإنسحاب الفارسي من أمام المدينة. وهكذا، دخلت تلك النافورات أو العيون داخل حرم القصر، الذي شيده أبحر في الأساس لابنه ماجنوس. كما أن موضع القصر حدث به هبوط ذات يوم في التربة، على أثر صدع أرضي وقع داخل المدينة ومر من تحت القصر.

ومن المعالم التي كانت جديرة بالزيارة في الرها أول قصر شيده الملك أبحر لنفسه على أرض مرتفعة؛ كما كان هناك نصب تذكاري للملك أبحر وكل أسرته، وبرغم أن النصب جميل الشكل إلا أنه كان من الطراز القديم. كما كانت هناك قصور أخرى بالمدينة يمكن أن توضع في برنامج زيارة من يأتي للمدينة.

ويفهم من النص أيضاً أن رسالة السيد المسيح (عليه السلام) للملك أبحر كانت تنسخ وتقدم نسخاً منها لزوار المدينة كتخليد لذكرى زيارتهم للرها؛ حيث أشارت إينثيريا إلى مدى غبظتها وبهجتها لحصولها على نسخة من هذه الرسالة من يد أسقف المدينة والتي ستعود بها إلى بلادها، بعد أن مكثت ثلاثة أيام بمدينة الرها.⁽⁹³⁾

حرّان:

تكمن أهمية مدينة حرّان من الناحية الدينية إلى أنها ذكرت في العهد القديم باسم خَرّاي Charrae،⁽⁹⁴⁾ حيث استقر بها إبراهيم (عليه السلام) بعد أن هاجر من أور الكلدانيين إليها هو وأباه الذي حمل اسم تارح طبقاً لرواية التوراة؛⁽⁹⁵⁾ وهنا يرد

في سفر التكوين أن الله عز وجل قال لإبراهيم (عليه السلام): "أذهب خارج البلدة، واترك بيت أبيك، وأذهب إلى خاراي..." (96)

وكانت تقع داخل حران كنيسة تقام فيها الصلوات؛ كما كانت هناك كنيسة أثرية خارج المدينة يقال أن إبراهيم (عليه السلام) صلى بموضعها، حيث ترى رواية العهد القديم أن إبراهيم عليه السلام جاء إلى مدينة حرّان، كما سبق وأوضحنا. كما كان يوجد بئر أثري بجوار الكنيسة الأخيرة، قيل أن رفقة⁽⁹⁷⁾ Rebecca كانت تجلب منه الماء لسقاية إبل البعازر Eleazar، خادم إبراهيم (عليه السلام). ويشير نص رحلة إيثيريا إلى أن منزل إبراهيم بحرّان، الذي شيدت مكانة الكنيسة الواقعة خارج حرّان، بني عنده نصباً تذكاريّاً لأحد الرهبان ويدعى "هليديس" Helpdius، الذي يوافق عيده الثالث والعشرين من شهر أبريل من كل عام، وهو العيد الذي صادف وجود إيثيريا بحرّان، فكتب لها أن تشهد ذلك الإحتفال وتصفه وصفاً دقيقاً؛ حيث جاء الرهبان والنساك من كل أنحاء ما بين النهرين ليشهدوه أيضاً. (98)

ومن الأثار الدينية التي ميزت مدينة حرّان آنذاك أيضاً النصب التذكاري لناحور Nahor وبتوئيل Bethuel، والذي يقع على بعد ميل من المدينة، وهو النصب الذي يثبت أنهما جاءا إلى حرّان زمن إبراهيم (عليه السلام). (99)

كما كان يقع على بعد ستة أميال من المدينة البئر الذي كان يعقوب (عليه السلام) يسقي منه غنم "راحيل بنت لابان السوري" Rachel, daughter of Laban the Syrian وهي تطعمهم،⁽¹⁰⁰⁾ وكان يسمى بئر راحيل.⁽¹⁰¹⁾

وإلى جانب هذه البئر كانت توجد كنيسة جميلة للبناء للغاية، بنيت بدقة شديدة. ومن المشاهد الواضحة عند زيارة البئر وجود عدد من قلايات الرهبان حوله، إلى جانب قرية "فدان" Fadan،⁽¹⁰²⁾ التي كانت تقع على بعد خمسمائة ياردة من البئر، وهي بالأساس كانت حقلاً لابان السوري، والتي تحتفظ بنصب تذكاري له.⁽¹⁰³⁾

الخاتمة

وهكذا، من خلال صفحات البحث الماضية يمكن القول أن أهمية نصوص رحلة إيثيريا إلى بلدان الشرق الأدنى القديم تكمن في أنها مصدر باكر يعود إلى القرن الرابع الذي شهد حدثين مهمين أولهما صدور مرسوم ميلان سنة 313م الذي اعترف بالنصرانية إحدى ديانات الإمبراطورية الرومانية، والثاني الاعتراف بالمسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية مع نهاية ذلك القرن. وفي إطار هذين الحدثين تبلور شكل الحج المسيحي إلى الأراضي المقدسة في الشرق، سواء في فلسطين ام مصر أم بلاد الشام.

وإذا كانت هيلانة، أم قسطنطين، هي أول من حجت إلى بيت المقدس، حيث أنشأت كنائس عدة هناك، وحيث كشفت عن صليب الصليبوت، فإنها لم تترك وصفاً مكتوباً لرحلتها إلى فلسطين، على عكس إيثيريا التي تكبدت عناء المجيء من أوروبا الغربية إلى الأراضي المقدسة، حيث مكثت هناك عدة سنوات، كان من نتائجها وصف هذه الرحلة التي يسرت لنا معرفة ماهية وطبيعة الأماكن الدينية التي كانت محل زيارة أو حج أو سياحة دينية بالمفهوم الحديث عند نصارى القرن الرابع الميلادي.

وقد كشف البحث عن المزارات الدينية محل اهتمام الزائرين في القرن الرابع الميلادي والتي تركزت في قسمين أساسيين: الأول: زيارة المزارات الدينية الواردة في العهد القديم (التوراة)، وهي كل الأماكن المتعلقة ببني إسرائيل سواء في مصر أم سيناء أم الأردن أم فلسطين؛ وثانيهما: الأماكن الدينية التي ارتبطت بالعهد الجديد (الإنجيل) أو بالسيد المسيح (عليه السلام) وأمه مريم البتول ورسله وغيرهم من القديسين. كما كان برنامج الزيارة يشمل المدن التي عاش بها إبراهيم (عليه السلام) أيضاً، وهو ما تطلب من إيثيريا الذهاب إلى ميزوبوتاميا ببلاد الرافدين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

- *The Old Testament.*
- Abul-Jadayl, A. S., "Clysmatopolis: A Key Port on the Red Sea in the Route to India from the 4th Century A.D. to the 10th Century," in: *Sailing Ships of the Mediterranean Sea and the Arabic Gulf*, ed. V. Christides, II (Athens 2000), pp. 34-41.
- Barnes, T. D., *The New Empire of Diocletian and Constantine*, Cambridge, Mass., 1982.
- Christides, V., "Some Hagiographical Works (Greek, Latin, Arabic and Ethiopic) as a source for the Study of Navigation and Sea Trade in the Red Sea, the Persian Gulf and the Indian Ocean in pre-Islamic Times," *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 2(1997), pp. 62-76.
- Eusebius of Caesarea, *Ecclesiastical History*, I: 13.
- *Josephus*, Complete Works, Eng. trans. W. Whiston, London, 1981.
- *Manetho*, En. trans. W. G. Waddell, London, 1971.
- Mayerson, Ph., "Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysmatopolis (Suez)," *Journal of the American Research Center in Egypt*, 33(1996), pp. 61-64.
- Mayerson, Ph., "The Port of Clysmatopolis (Suez) in Transition from Roman to Arab Rule," *Journal of Near Eastern Studies*, 55/2(Apr. 1996), pp. 119-126.
- Muhammad, Tarek M., "Clysmatopolis in the Literary and Documentary Arab Sources," in: *Proceedings of the International Symposium on the historical relations between Arabia and the Greek and Byzantine Worlds (5th century BC – 10th century AD)*, Greek Embassy in Riyadh - King Saud University, Riyadh 6-10 December 2010, (Riyadh 2013).
- Sidebotham, S. E., "Northern Red Sea Ports and their Networks in the Late Roman/Byzantine Period," in: *Byzantine Trade, 4th-12th Centuries: The Archaeology of Local, Regional and International Exchange: Papers of the Thirty-Eighth Spring Symposium of*

- Byzantine Studies, St. John's College, University of Oxford, March 2004*, ed. M. M. Mango (Farnham, Burlington 2009), pp. 329-352.
- *The Pilgrimage of Etheria*, trans. M. L. McClure and Cl. Feltoe, in *Translation of Christian Literature*, Vol. II Liturgical texts (London, New York, n.d.).
 - Vaux, R., *Histoire ancienne d'Israel*, Paris, 1971.
 - Williams, S., *Diocletian and the Roman Recovery*, New York, 1985.
 - Yeivin, S., "the Sepulchers of the Kings of the House of Davis," *Journal of Near Eastern Studies*, 7(1948).

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم.
- العهد الجديد (الإنجيل).
- العهد القديم (التوراة).
- أرمسترونج، كارين، القدس: مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009.
- إسحق عبيد، "قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع"، المجلة التاريخية المصرية، عدد 17(1970)، ص 5-21.
- ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار المعارف، القاهرة د.ت.، ج 1.
- البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط. دار ابن كثير، بيروت 2002.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945، ج 1.
- البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، 1959 .
- خليل سركيس، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001.

- رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، أربعة أجزاء، دار المعارف، القاهرة؛ نفس المؤلف، مصر في العصر المسيحي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة 2000.
- رأفت عبد الحميد، الشخصية المصرية في العصر المسيحي، القاهرة، 1973.
- الزركشي، محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، القاهرة، 1385هـ.
- سفينسيسكايا، إ. س.، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ترجمة حسان مخائيل اسحق، دمشق 2006.
- سيد القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، سينا للنشر، القاهرة، 1990.
- طارق منصور و هانيء البشير، مدخل إلى تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الرشد، الرياض 2008م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، 1969، ج4.
- عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
- عبد الله سليم عمارة، تاريخ فلسطين القديم بين الأساطير التوراتية وحقائق التقنيات الأثرية، مطبوعات مركز النيل للدراسات الاقتصادية والإستراتيجية، القاهرة، 2012.
- عصام سخيني، فلسطين والفلسطينيون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 2003.
- عواد مجيد الأعظمي، تاريخ مدينة القدس 3000 ق.م. -1099م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.
- فتحي سعيد جورجي، رحلة العائلة المقدسة في أرض مصر، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 2001.
- فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار المنارة، دمشق، 1989.
- مؤلف مجهول، تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق د. طارق منصور، نشر مصر العربية، القاهرة، 2008.
- محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1400هـ.

المزارات الدينية في مصر والشام وبلاد الرافدين

- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، 1986.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، 1965، ج1.
- مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، 1995.
- منيرة الهمشري، النظام الإداري في الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور دقلديانوس، القاهرة، 1997.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، د.ت.

الهوامش

1. عن هذا الموضوع انظر: منيرة الهمشري، النظام الإداري في الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور دقلديانوس، القاهرة، 1997؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، 1986، ص 32-35؛ طارق منصور و هانيء البشير، مدخل إلى تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الرشد، الرياض، 2008م، ص 21-28؛ Williams, S., Diocletian and the Roman Recovery, New York, 1985; Barnes, T. D., The New Empire of Diocletian and Constantine, Cambridge, Mass., 1982.
2. راجع: طارق منصور و هانيء البشير، مدخل إلى تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 29-54.
3. راجع: رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، أربعة أجزاء، دار المعارف، القاهرة؛ نفس المؤلف، مصر في العصر المسيحي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة 2000؛ نفس المؤلف، الشخصية المصرية في العصر المسيحي، القاهرة، 1973.
4. اسحق عبيد، "قصة عثر القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع"، المجلة التاريخية المصرية، عدد 17(1970)، ص 5-21.
5. هذا المكان يدعى في الإنجيل الجمجمة أو وبالعبرية جلجثة. وهو المكان الذي اقتيد إليه السيد المسيح ليصلب، حسب المعتقد النصراني. انظر، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح 19. انظر أيضاً، إ. س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ترجمة حسان مخائيل اسحق، دمشق 2006، ص 325.
6. جبل تابور أو ثابور: يرتفع في محيط مدينة الناصرة؛ ويتردد اسم هذا الجبل مراراً في التوراة. وحسب الرواية المسيحية فإن الرب تجلى على هذا الجبل، وتخليداً لذكرى الحدث المقدس شيدت في المكان كنيسة التجلي عام 1923م. انظر، سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص 343.
7. مؤلف مجهول، تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق أ.د. طارق منصور، نشر مصر العربية، القاهرة، 2008، ص 25-28.
8. عن العمائر التي أقامتها هيلانة في فلسطين أثناء رحلتها انظر: تاريخ ملوك القسطنطينية، ص 29-41؛ خليل سركيس، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشلين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص 100-102.
9. تجدر الإشارة إلى أن مصطلح بلاد الشام الوارد في عنوان البحث لا يعني سوريا Syria بالمنطقة الجغرافية الممتدة من جنوبي جبال طوروس شمالاً وحد الفرات شرقاً وأرض كنعان والجزيرة العربية جنوباً.
10. *The Pilgrimage of Etheria*, trans. M. L. McClure and Cl. Feltoe, in *Translation of Christian Literature*, vol. II Liturgical texts (London, New York, n.d.), p. VII-VIII.
11. *The Pilgrimage of Etheria*, p. X.
12. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. XVII-XVIII.

13. أطلق اسم إسرائيل على يعقوب بن إسحق حفيد إبراهيم (عليه السلام)، وأبناؤه هم بنو إسرائيل. وكلمة إسرائيل لفظة كنعانية مكونة من "إسر" وتعني عبد، و "إيل" وتعني إله. ومن ثم فإن الاسم كنعاني الأصل، وكان مستخدماً قبل زمن موسى عليه السلام بزمن طويل. وقد غادر بنو إسرائيل حران إلى أرض كنعان (فلسطين)، ومن هناك غادروا فلسطين بقيادة يعقوب، الذي كان عمره آنذاك 130 عاماً، إلى مصر حوالي القرن السابع عشر ق.م.، وكان تعدادهم سبعون رجلاً وطفلاً وامراً، على حسب بعض التقديرات. انظر: عبد الله سليم عمارة، تاريخ فلسطين القديم بين الأساطير التوراتية وحقائق التنقيبات الأثرية، مطبوعات مركز النيل للدراسات الاقتصادية والإستراتيجية، القاهرة، 2012، ص 51-52؛ مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، 1995، 52-54.

14. شيدت بنو إسرائيل لفرعون مصر مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس. Exodus, i, 11.

15. The Pilgrimage of Etheria, p. 18

16. تحتل سيناء مكانة دينية بين اليهود أيضاً لأن الله كتب على بني إسرائيل التيه فيها مدة أربعين عاماً، بعد أن عصوا كلم الله وكفروا بالله وصنعوا عجلاً من الذهب يتعبدون إليه، مما جر غضب الله عليهم فكتب عليهم التيه فيها. انظر: سورة طه، آيات 9-12، 83-90؛ سورة الأعراف، آيات 137، 141؛ مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص 55-61؛

Exodus, xxxii, 15-24

17. كارين أرمسترونج، القدس: مدينة واحدة، عفاند ثلاث، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، ص 54.

18. من وصف التوراة رجح الباحثون أن يكون طريق خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان على النحو التالي: من مدينة رعمسيس إلى سكوت ومنها إلى إيثام ثم قم الحبروت. وهناك أدركهم فرعون وجنوده، فجاهم الله من كيدته الذي رده الله إلى نحره، عند برية شور بسيناء، ثم وصلوا إلى مارة وإيليم، ثم نزلوا إلى دققة بوادي فيران ثم وصلوا رفيديم، وهناك دارت أول معركة لهم مع العماليق المحليين، ثم برية سيناء في مواجهة جبل موسى، حيث تلقى موسى الشريعة، وهناك مكثوا حوالي العام، ثم تحركوا إلى قادش برنيع "مارين" بحضيروت" وبرية فاران ثم عصبون جابر الواقعة على نهاية خليج إيلة، ومنها رحلوا إلى "جبل هور" في مدخل أرض الأدوميين. راجع: مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص 60.

19. كتبت أسفار العهد القديم في الأصل باللغة العبرية. وقد ترجم العهد القديم إلى لغات عدة، فكانت أول ترجمة له هي الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية (وهي التر لا تزال متداولة بين اليهود والنصارى حتى اليوم). وترجع التسمية السبعينية إلى بطلميوس فيلادلفوس (283-246 ق.م.) فقد دعا سبعين من معلمي اليهود إلى الإسكندرية لترجموا العهد القديم إلى اليونانية، للاحتفاظ بتلك النسخة في مكتبة الإسكندرية. والعهد القديم في صورته التي وصلت إلينا يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي: التوراة، وأسفار الأنبياء، وكتب الحكمة (أو المكتوبات). للمزيد انظر: فتحي سعيد جورجي، رحلة العائلة المقدسة في أرض مصر، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 2001، ص 19-20؛ مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص 13-16.

20. The Pilgrimage of Etheria, pp. 1-2.

21. The Pilgrimage of Etheria, p. 3.

22. The Pilgrimage of Etheria, p. 6.

23. The Pilgrimage of Etheria, p. 4.

24. ورد في التوراة ما يلي: " 15 فَأَنْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدَيْهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. 16 وَاللُّوحَانِ هُمَا صُنْعَةُ اللَّهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللَّهِ مَنقُوشَةٌ عَلَى اللُّوحَيْنِ... 19 وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعَجَلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِي غَضِبَ مُوسَى، وَطَرَحَ اللُّوحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي اسْفَلِ الْجَبَلِ. Exodus, xxxii, 15-16, 19. 1 ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أُنْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلِ الْأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبْ أَنَا عَلَى اللُّوحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللُّوحَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا. 2 وَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلصَّبَاحِ. وَاصْعَدْ فِي الصَّبَاحِ إِلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ، وَقِفْ عِنْدِي هُنَاكَ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. 3 وَلَا يَصْعَدُ أَحَدٌ مَعَكَ، وَأَيْضًا لَا يَرُ أَحَدٌ فِي كُلِّ الْجَبَلِ...» Exodus, xxxiv, 1-3.

25. The Pilgrimage of Etheria, p. 5.

26. The Pilgrimage of Etheria, pp. 6-7.

27. The Pilgrimage of Etheria, p. 8.

28. سورة طه، آية 12. وفي سفر الخروج الإصحاح الثالث، الآيات 1-5: 1 وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ ثَبْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مَدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وِزَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورَيْبَ. 2 وَظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ بِلَهِيْبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمُنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تُحْتَرِقُ الْعَلْنِيَّةُ؟». 4 فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالٌ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعَلْنِيَّةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». 5 فَقَالَ: «هَأَنْذَا». 6 فَقَالَ: «لَا تَقْتَرِبْ إِلَيَّ هُنَا. أَخْلَعُ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». 7 فَقَالَ: «عَلْنِيَّةٌ فَتَنْظُرُ وَإِذَا الْعَلْنِيَّةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعَلْنِيَّةُ لَمْ تَكُنْ تُحْتَرِقُ». 3 فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمُنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تُحْتَرِقُ الْعَلْنِيَّةُ؟». 4 فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالٌ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعَلْنِيَّةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». 5 فَقَالَ: «هَأَنْذَا». 6 فَقَالَ: «لَا تَقْتَرِبْ إِلَيَّ هُنَا. أَخْلَعُ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ».

Exodus, iii, 1-5

29. يشوع بن نون كان ممن صحبوا موسى عليه السلام هو وكالب بن يفتة وعملا في خدمته، حيث أرسلهما موسى (عليه السلام) ليتجسسا أرض كنعان قبل توجهه ويصحبته بنو إسرائيل إلى هناك. وقد قاد يوشع بن نون جموع بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام وهم في رحلتهم للاستقرار في أرض فلسطين، كما قادهم في حروبه هناك. وقد تمكن يوشع بن نون وقواته من بني إسرائيل، متحالفا مع أهل جبعون، هزيمة خمسة ملوك ممن يقومون على عروشهم في أرض كنعان، وهم أدوني صادق ملك أورشليم، وهوام ملك حبرون، وقيرام ملك يرموث، وبافيع ملك لخيش، وديبر ملك عجلون. انظر: خليل سركيس، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، ص 9، Numbers, xiii, 1-20.

30. راجع النص كاملاً في التوراة، حيث ورد ما يلي: " 15 فَأَنْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدَيْهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. 16 وَاللُّوحَانِ هُمَا صُنْعَةُ اللَّهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللَّهِ مَنقُوشَةٌ عَلَى اللُّوحَيْنِ. 17 وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هَتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». 18 فَقَالَ: «أَلَيْسَ صَوْتُ صَبَاحِ النَّصْرَةِ وَلَا صَوْتُ صَبَاحِ الْكُسْرَةِ، بَلْ صَوْتُ غَنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». 19 وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعَجَلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِي غَضِبَ مُوسَى، وَطَرَحَ اللُّوحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي اسْفَلِ الْجَبَلِ. 20 ثُمَّ أَخَذَ الْعَجَلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. 21 وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هَذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَانَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيئَةً عَظِيمَةً؟» 22 فَقَالَ هَارُونَ: «لَا يَحْمُ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرِّ. 23 فَقَالُوا لِي: اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسْبِيحُ أَمَانًا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. 24 فَقُلْتُ

لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيُنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هَذَا الْعَجَلُ»." .
Exodus, xxxii, 15-24

31. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 9-10.

عن المن والسلوى وأكل بني إسرائيل راجع القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل: [وَوَلَّأْنَا عَلَيْكُمْ
الْعِمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] سورة
البقرة، آية 57؛ وراجع أيضا العهد القديم

32. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 10

33. انظر خريطة رقم 1.

34. كانت مدينة القلزم ملتقى الطريق الذي يربط بين مصر وفلسطين عبر القلزم وكانت محطة
للقوافل والرحالة للتزود بالمؤن قبل استكمال رحلتهم البرية عبر الصحراء. وكانت تقع على خليج
هيريوبوليتيكوس، المعروف حاليا باسم خليج السويس، ومن أهميتها أنها كانت مركزا تجاريا حيويا
للتجارة البحرية الآتية من الهند ومن بلاد العرب. عنها انظر: Tarek M. Muhammad, "Clysmata in the Literary and Documentary Arab Sources," in: *Proceedings of the International Symposium on the historical relations between Arabia and the Greek and Byzantine Worlds (5th century BC – 10th century AD), Greek Embassy in Riyadh - King Saud University, Riyadh 6-10 December 2010, (Riyadh 2013)*; V. Christides, "Some Hagiographical Works (Greek, Latin, Arabic and Ethiopic) as a source for the Study of Navigation and Sea Trade in the Red Sea, the Persian Gulf and the Indian Ocean in pre-Islamic Times," *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, 2(1997), pp. 62-76; A. S. Abul-Jadayl, "Clysmata- Qulzum: A Key Port on the Red Sea in the Route to India from the 4th Century A.D. to the 10th Century," in: *Sailing Ships of the Mediterranean Sea and the Arabic Gulf*, ed. V. Christides, II (Athens 2000), pp. 34-41; Ph. Mayerson, "Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysmata (Suez)," *Journal of the American Research Center in Egypt*, 33(1996), pp. 61-64; idem, "The Port of Clysmata (Suez) in Transition from Roman to Arab Rule," *Journal of Near Eastern Studies*, 55/2(Apr. 1996), pp. 119-126; S. E. Sidebotham, "Northern Red Sea Ports and their Networks in the Late Roman/Byzantine Period," in: *Byzantine Trade, 4th-12th Centuries: The Archaeology of Local, Regional and International Exchange: Papers of the Thirty-Eighth Spring Symposium of Byzantine Studies, St. John's College, University of Oxford, March 2004*, ed. M. M. Mango (Farnham, Burlington 2009), pp. 329-352

35. Mayerson, *Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysmata*, p. 61. Cf. *Genesis*, xiv, 6; xxi, 21.

36. برية فاران هي التي عاش فيها إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر حسب رواية العهد القديم.
راجع *Genesis*, xiv, 6; xxi, 14-21

37. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 12

38. Mayerson, *Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysmata*, p. 63.

39. أرابيا هي مدينة عباريم في العهد القديم. ويرى مايرسون أنها ربما تكون فاقوزا (Phacusa) انظر: *The Pilgrimage of Etheria, p. XIX; Mayerson, Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysmā, p. 63*.
40. أرض غوشين هي الأرض الواقعة بين خليج هيروبوليتيكوس شرقاً ونهر النيل غرباً، ويلاحظ أن إيثيريا استخدمت معظم مسميات العهد القديم كغوشين، ورعمسيس، وسكوت، وفيثوم وغيرها.
41. *The Pilgrimage of Etheria, pp. 12-13*.
42. هي فم الحبروت في العهد القديم. انظر: *The Pilgrimage of Etheria, p. XIX*.
43. راجع: *Exodus, xiii, 20*.
44. راجع: *Exodus, xii, 37*.
45. *The Pilgrimage of Etheria, p. 15*.
46. *Mayerson, Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysmā, p. 61*.
47. هي المدينة التي خرج منها بنو إسرائيل فراراً من فرعون مصر زمن موسى عليه السلام.
48. *The Pilgrimage of Etheria, p. 16*.
49. *The Pilgrimage of Etheria, pp. 17-18*.
50. تسمية أرض فلسطين بأرض كنعان ليست تسمية تورانية، بل يرد الاسم في عدد من الوثائق السورية والعراقية والمصرية المحررة قبل أسفار العهد القديم بعشرات القرون، فمنذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد ورد اسم أرض كنعان للإشارة إلى فلسطين كلها. وكان اسم بلاد كنعان أول ما أطلق أطلق على الساحل والقسم الغربي من فلسطين، ثم أصبح يطلق على فلسطين كلها وقسماً من سورية. وكانت مدينة شكيم (نابلس) عاصمة بلاد كنعان لوقوعها في وسط فلسطين. راجع: فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار المنارة، دمشق، 1989، ص 250؛ عصام سخيني، فلسطين والفلسطينيون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص 22؛ عبد الله سليم عمارة، تاريخ فلسطين القديم بين الأساطير التوراتية وحقائق التقنيات الأثرية، ص 30-28.
51. راجع: *Deuteronomy, xxxii, 48-50*.
52. راجع: *Joshua, i, 1-4*.
53. ليفياس هي بيت هاران في العهد القديم *Beth-Haran*.
54. *The Pilgrimage of Etheria, p. 19*.
- هذا الاقتباس نقل مصحفاً من العهد القديم، الذي ورد فيه أن المدة ثلاثين يوماً وليس أربعين يوماً كما ورد في النص. *Deuteronomy, xxxiv, 8*.
55. *The Pilgrimage of Etheria, p. 20. Cf. also Deuteronomy, xxxiii, 1-6*.
56. ورد في العهد القديم: "ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِبْرِيمَ وَهُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَحْلَةً. فَتَزَلُّوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ." راجع: *Exodus, xv, 27*.
57. *The Pilgrimage of Etheria, pp. 21-22*.
58. راجع: *Deuteronomy, xxxiv, 5-6*.
59. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط. دار ابن كثير، بيروت، 2002، حديث رقم 1339، 3407؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار المعارف، القاهرة د.ت، ج1، حديث رقم 49.
60. انظر: *Deuteronomy, xxxii, 32*.
61. انظر: *Deuteronomy, xxxiv, 3*.

62. انظر: Deuteronomy, i, 4.

63. انظر: Deuteronomy, iv, 3.

64. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 22-24

65. انظر خريطة رقم 2.

66. يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر ق.م، أي زمن إبراهيم (عليه السلام)، حيث كان ملكا على اليوبوسيين وكانت عاصمته بيوس أو أور سالييم، وتعني مدينة السلام، وهو نفسه يعني اسمه الملك العظيم. وقد قدم ملكي صادق العون لإبراهيم (عليه السلام) عند مجيئه من حرّان إلى أرض كنعان، حيث أعطاه عشرا من أمواله. انظر: عبد الله سليم، تاريخ فلسطين القديم بين الأساطير التوراتية وحقائق التقنيات الأثرية، ص 39؛ عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 39-40؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1400هـ، ص 113-138؛ عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص 40؛ كارين أرمسترونج، القدس: مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ص 66-67؛ Josephus, Complete Works, Eng. trans. W. Whiston, London, 1981, p. 151; S. Yeivin, "the Sepulchers of the Kings of the House of Davis," *Journal of Near Eastern Studies*, 7(1948), 40; R. Vaux, *Histoire ancienne d'Israel*, Paris, 1971, 72 ff.

67. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 25-26. Cf. *Genesis*, xiv, 13-19.

68. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 27-28.

69. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 28-29.

70. انظر: Kings, xvii, 1. ο(Θεσβει/τηφ ε)κ Θεσβω=ν τηφ Γαλαα/δ.

71. انظر: Judges, xi, 1.

72. انظر: Judges, xii, 7 (Geyer) or perhaps Jether, Judges, viii, 20.

73. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 29.

74. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 30-31

75. أورشليم ورد الاسم بهذا الشكل في نص رحلة إيثيريا، وقبلها ورد في التوراة، وقد أثرنا ترجمته إلى بيت المقدس عبر صفحات البحث. ومن المعروف أن مدينة بيت المقدس حملت أسماء عدة قبل مجيء بني إسرائيل إليها بعد خروجهم من مصر، فقد سميت بأورشليم، وأور سالم، وإيليا، وصهيون، وغيرها. ولكل اسم من هذه الأسماء حكاية تاريخية. انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، بيروت، 1965، ج1، ص 346-347؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، 1969، ج4، ص 161؛ الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، القاهرة، 1385هـ، ص 278؛ البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945، ج1، ص 217؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، د.ت. مادة إيلياء؛ البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، 1959، ص 144؛ عواد مجيد الأعظمي، تاريخ مدينة القدس 3000 ق.م.-1099م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009، ص 50-67، 154-156؛ عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص 41-57؛ كارين أرمسترونج، القدس: مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ص 28 وما بعدها؛ Manetho, En. trans. W. G. Waddell, London, 1971, 87-89.

76. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 45-46.

The Pilgrimage of Etheria, pp. 47-50.

77. انظر:

78. انظر *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 51-52
79. انظر: *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 53-54.
80. انظر: *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 54-55.
81. انظر: *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 71, 81-83
82. Joel, iii, 16-17, 21.
- "15 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَظْلَمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا. 16 وَالرَّبُّ مِنْ صِهْيُونَ يُرْمِجُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ يُعْطِي صَوْتَهُ، فَتَرْجُفُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ مَلْجَأً لِشَعْبِهِ، وَحِصْنٌ لِيَنِي إِسْرَائِيلَ. 17 «فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، سَاكِنًا فِي صِهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي. وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مُقَدَّسَةً وَلَا يَجْتَأُ فِيهَا الْأَعَاجِمُ فِي مَا بَعْدَ.» انظر أيضا: عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص 56-57.
83. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 73-74, 81-83, 86 انظر: 84. انظر خريطة رقم 2.
85. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 29-30
86. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 31.
87. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 32-33.
88. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 31-32.
89. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 30.
90. Eusabius of Caesarea, *Ecclesiastical History*, I: 13.
91. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 35.
92. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 33-34.
93. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 35.
94. انظر: *Genesis*, xi, 31-32
- "وَأَخَذَ أَبِرَامُ وَنَاحُورُ لِأَنْفُسِهِمَا امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ امْرَأَةِ أَبِرَامَ سَارَائِي، وَاسْمُ امْرَأَةِ نَاحُورَ مَلَكَةُ بِنْتُ هَارَانَ، أَبِي مَلَكَةَ وَأَبِي بِيَسَكَةَ. 30 وَكَانَتْ سَارَائِي عَاقِرًا لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ. 31 وَأَخَذَ تَارُخُ أَبِرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بَنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَائِي كَانَتْ امْرَأَةَ أَبِرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أَوْرُ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَاتُّوا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ. 32 وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارُخَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارُخُ فِي حَارَانَ."
95. سيد القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، سينا للنشر، القاهرة، 1990، ص 27 وما بعدها.
96. انظر: *Genesis*, xii, 1-5
- ورد النص في التوراة على النحو التالي: "1 وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبِرَامَ: «أَذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. 2 فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأَبَارِكَ وَأَعْظَمَ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَاتُ 3 وَأَبَارِكَ مُبَارِكِيكَ، وَلَا عَيْتُكَ أَلْعَنُهُ. وَتُبَارِكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ.» 4 فَذَهَبَ أَبِرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطُ. وَكَانَ أَبِرَامُ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. 5 فَأَخَذَ أَبِرَامُ سَارَائِي امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مَقْتَنِيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنِيَا وَالنَّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَاتُّوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ." وقد توفيت زوجة سارة إبراهيم الخليل هناك ودفنها في كهف المكفيلة الواقع بحقل عفرون الذي اشتراه إبراهيم من مالكة بمدينة الخليل. انظر: كارين أرمسترونج، القدس: مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ص 59؛ *Genesis*, xxiii, 1-20.
97. هي رفقة بنت بتونيل بن ناحور، التي جاء خادم إبراهيم عليه السلام للبحث عنها في حران ليأخذها إبراهيم زوجاً لابنه إسحق بن سارة، زوج إبراهيم. انظر: *The Pilgrimage of Etheria*, p. 38

98. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 36-37

99. *The Pilgrimage of Etheria*, p. 37.

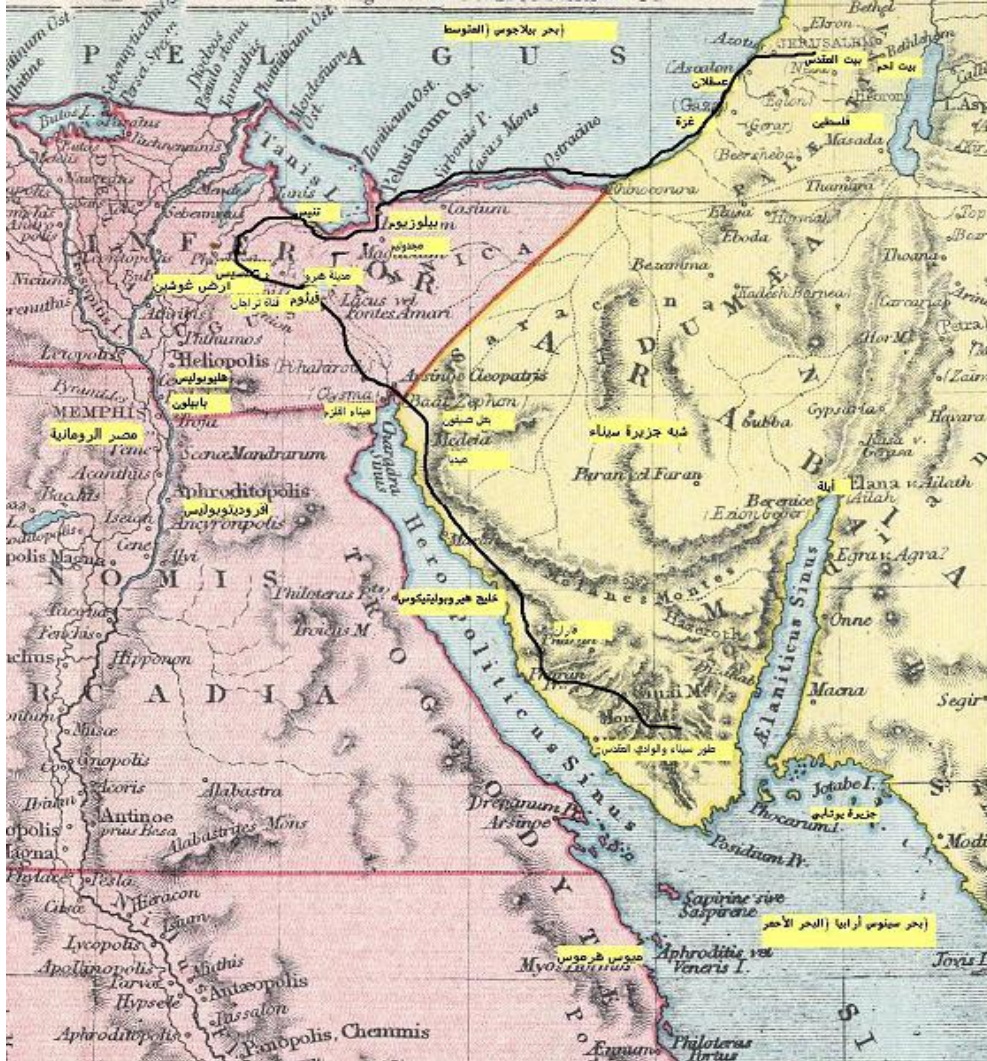
100. ورد في التوراة قصة زواج يعقوب من راحيل بنت لابان، ومنها هذه الآيات: "9 وَإِذْ هُوَ بَعْدُ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ أَنْتَ رَاحِيلُ مَعَ عَتَمِ أَبِيهَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَزْعَى. 10 فَكَانَ لَمَّا أَبْصَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ بِنْتَ لَابَانَ خَالِيهِ، وَعَتَمَ لَابَانَ خَالِيهِ، أَلَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَبَحَرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الثُّبْرِ وَسَقَى عَتَمَ لَابَانَ خَالِيهِ. 11 وَقَبِلَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَبَكَى. 12 وَأَخْبَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ أَنَّهُ أَخُو أَبِيهَا، وَأَنَّهُ رَفِيقَةٌ، فَرَكَضَتْ وَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا. 13 فَكَانَ حِينَ سَمِعَ لَابَانَ خَبَرَ يَعْقُوبَ ابْنِ أُخْتِهِ أَنَّهُ رَكَضَ لِقَائِهِ وَعَاتَقَهُ وَقَبَلَهُ وَأَتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ. فَحَدَّثَ لَابَانَ بِكُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ". راجع: Genesis, xxix, 9-35.

101. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 39-40 .

102. توجد إشارة لفدان في التوراة حيث ورد: "1 فدعا إسحاق يعقوب وباركته، وأوصاه وقال له: «لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. 2 فم اذهب إلى فدان آرام، إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وخذ لنفسك زوجة من هناك، من بنات لابان أخي أمك. 3 والله القدير يباركك، ويجعلك مثمرا، ويكثر لك فتكون جهورا من الشعوب. 4 هو يعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك، لثرت أرض عرتيك التي أعطاه الله لإبراهيم»". 5 فصرفت إسحاق يعقوب فذهب إلى فدان آرام، إلى لابان بن بتوئيل الأرامي، أخي رقيقة أم يعقوب وعيسو". انظر: Genesis, xxviii, 1-5.

103. *The Pilgrimage of Etheria*, pp. 40-41.

خريطة رقم (1)
خط سير إيثيريا في بقاع مصر



خريطة رقم (2)
خط سير إيثيريا في بلاد الشام وبلاد الرافدين

